رسالة إلى الشهداء

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(//٢٠١١)

.

جرار، مأمون فريز
رسالة إلى الشهداء/ مأمون فريز جرار_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
(٧٠) ص
ر.أ: (//٢٠١١).
الواصفات: الشعر العربي //العصر الحديث

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

رسالة إلى الشهداء

د. مأمون فريز جرار




بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي المجموعة الشعرية الرابعة التي تصدر لي كانت أولاها "القدس تصرخ" (١٩٦٩م) التي صدرت عن دار البيان في الكويت. وهي قصائد مستلة من ديوان شعر كان عنوانه (بشائر الفجر) سلمته للأستاذ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي للنشر والتوزيع لنشره، فاختار منه قصائد صدرت ضمن سلسلة من المنشورات الشعرية عن دار البيان، ولم يقدر لذلك الديوان أن ينشر.

والمجموعة الثانية: عنوانها " قصائد للفجر الآتي" (١٩٨١) صدرت عن مكتبة الأقصى.

والمجموعة الثالثة: "مشاهد من عالم القهر" (١٩٨٣) صدرت عن دار البشير.

وقد توقفت عن الشعر سنوات بل شغلت عنه، وكان يراودني شعر لا أرتضيه، ويستعصي عليّ شعر أتطلّع إليهِ، وكنت من حين لآخر ألتقط بعض القصائد حتى اجتمعت لي هذه المجموعة التي أرجو أن يكون فيها ما يعجب القارئ، وهي متفاوتة التواريخ منها القديم ومنها الجديد، وهناك من وراء هذه المجموعة قصائد نشرتها ولم أحتفظ بالأصل أو المنشور منها، وقصائد أخرى قد تجد الطريق إلى النشر ذات يوم.

وأنا من بعد لا أدعي أنني شاعر محترف، فليس الشعر عنـوان شخصيتي، ولا الأبرز في إنتاجي، وإن كان من الأصدقاء والمعـارف من يسلكني في الشعراء.

أيها القارئ العزيز

هذه قصائد معدودة فيها بعض من نبض القلب ولحظات مـن مسيرة الحياة، لا أدعى لها جودة ولا تميّزاً فإن اهتززت لها، ونقلـت إليك بعض ما أحسسته عند نظمها فذلك ما أريد، فالشـعر عنـدي رسالة، وليس زخرف قول أو زينة كلام.

وعند نشر هذا الديوان ضمن الأعمال الشعرية حذفت منه ما كان حقه أن يكون في ديوان (تسبيحات كونية).

رسالة إلى الشهداء

(١)

لولا الشهداءُ لكان الكونُ بحار ظلامْ

ظلماتٌ تغشاها ظلماتٌ

من شهوات الحرص على الفاني

والغوص وراءَ التافه

والرّكضِ وراءَ سرابٍ

يزرعُ في كلّ خلايا العمر العطشَ القاتلْ

شهواتُ ترابٍ وحجارَةْ

تمتدُّ عماراتٍ وبساتيْن

ما أسرعَ ما تنهدُّ وتصفرُّ ولكنْ

تتجدَّد مثل النّوم وأحلامِ اليقظّةْ

في اليقظةِ جَريٌ خلفَ سراَبْ

في النوم استغراقٌ في أضغاثُ الأحلامْ

بل يقظتنا والنومُ جميعاً أضغاثُ الأحلامْ

كيف اخترقَتْ أعيُنكم جُدرانَ الأوهامْ

لترى أنّ:

وراءَ الشّهواتِ

وأستار الظّلماتِ

بحاراً من نور لا ينفدْ؟

كيف فككتم كل قيودِ الطّين وأهواءَ القلبْ.

كيف تخلّصتم من أسر الألوانْ

تتلّوى طيفاً يسرقُ معنى العمرْ؟

كيف اخترقَ الصخبَ الداوي في الآذانِ نداءُ الحور العين:

"من يخطبُنا وله جنّات الخلد ورضوانُ الله؟

والمهرُ: تّجردْ من أسر الظُّلماتِ وقيد الشهواتْ

المهرُ: الجسدُ الموبوءُ بحبّ الدنيا

المهرُ: قرارٌ بالموت على حدّ السيف وصاعق قنبلةٍ وحزامٍ ناسفْ"

(٢)

ليس جنوناً طلبُ الموتِ لنيل الجنةْ

ليس هباءً جعلُ الجسدِ الفاني

للأرض سماداً

يعدُ بموسم خيرٍ في أيّام الجدْب

بعامٍ فيه يُغاث الناس بنصر

والوطنُ المحتلُّ بتحريرٍ من أسر الأعداءْ

يا زيتَ القنديلِ تهاوت للموتِ ذُبالتُهْ

فتعودُ إليه حياةُ

يا أغلى مِنْ نفطٍ جاءَ برابرةُ الإفرنْج ليقتسموهْ

يا معنىً يجعلُ لحياةٍ فقَدْت كلِّ معانيها طعما

يا أعقلَ من كلِّ العقلاءْ

يا من قرَّرت رحيلاً حين أردتَ

فكنتَ كبيراً

أكبَر من طغيانٍ فاضَ عن السَّدِّ ولم يعرف حدّاً

فاجتاحَ الأرضَ كيأجوجَ ومأجوجَ فكنتَ له ردما

(٣)

يا تأويلَ الوعدِ الحقْ

وعد نبيّ الله بأنَّ النصَر لنا

مخبوءٌ في شفتي شجر.. حجرٍ

يهتفُ ها خلفي وغدٌ فاجتثّوهْ

والأقصى يُصبح أدنى

للجيل الفاتح

يدخلُ بوابات المسجدِ

عَبْر ثقوبِ الجسدِ الممتدِّ جسوراً

بيَن الوعْدِ ويومِ الفتحْ

عمان ٢٠٠٢م

رسالة إلى استشهادي

(١)

واقفٌ أنتَ على بوابةِ التاريخ فادخلْ

بابَ عزّ لم يُفَّتحْ لسواكْ

شامخٌ أنتَ عصُّي العزمِ

تمتدُّ رؤى الأمة في أفق مداك

(٢)

ظنكَ الواهم فرّاراً

فكرّت قبضةُ المجدِ

تخطُّ الذلَّ في وجهِ عِداكْ

(٣)

أيها السائر في العتمةِ بدراً

يقبسُ السارون من وهْج سناكْ

(٤)

أملُ الحاضر أنتَ اليومَ

والمستقبلُ الموعودُ

تأويلُ رؤاك

(٥)

أنتَ في بوابة الأمجادِ بدرٌ

فتقَّدم

صَمَّ سمعاً عن نداء

جاءَ من خلفكَ رخوًا

وتقدّمْ....

لا تَلفَّتْ نحوَ صوتِ الحذرِ الموبوء بالعجزِ

ينادي من هناكْ

مِنْ وحولٍ علقت فيها عبيدُ الوهْمِ

نادوا بالهلاكْ

(٦)

أنتَ حيٌّ... وهمُ الموتى

وإن أبحرتَ في الأفق شظايا

تتجلىّ لعبيد الطين...

من أعْلى علاكْ

(٧)

إنهّا بوابة الخلدِ

فأَقدمْ

اضغط (الزَّر)

وكّبْر

افتح الشرِّيانَ شلاّلاً من المجدِ

وُرشَّ الأرضَ

كنْ بستانَ وردٍ

فيه فيضٌ من شَذاكْ

(٨)

كنْ سمادَ الأرض

ينبت من شقوق الصخر جيلٌ

يحمل الروح على الكفّ

وعيناهُ على الخلدِ

يحطُّ الخطوَ في إثر خُطاكْ

* * *

٢٠٠٢م

جنين الشهيدة

(إلى أبطال مخيم جنين)

لا بأسَ يا جنيْن

ملحمة تُضاف في ملاحم السنيْن

نقرأ فيها قسوة الجزار إذْ

يُعْمِلُ في أعصابك السكيْن

لكنه لم يسمع الأنيْن

صبرتِ حتى الموت عن قَوْلِةِ (أخْ)

ولم تجئك نُصرة ابن العمّ

أو معونةٌ من أَخْ

وأنت تُذبحيْن

والأعيُن العمياءُ تُبصر الجزّارَ والسكيْن

قلتِ لهم: قد أقبل التتارْ

قالوا: اصبري وقاومي بالعزم والإصرارْ

قلتِ لهم: داهمني التيارْ

قالوا: اسبَحي وقاومي

إيّاك إن تستسلمي

إيّاك درب العارْ

قلتِ لهم: قد هدموا الديارْ

قالوا: احفُري في الأرض ثُمّ قاومي

بضربةِ السكين والأظفارْ

قلتِ لهم: يقتلني الجزّارْ

تَهْرسُ دباباتهُ

بيتي ولحمي وعظامي ودمي

قالوا وبعضُ الدَّمْع في عيونهم:

لم يأذنِ الجزّار أن تأتيكم بنجدةٍ

لم يأذن الجزّار إلا بالغطاء والدواءْ

لنَسْتر السوأة عن أعيننا

وندفن الموتى

ونُسدل الستارْ

وبالصلاة والدعاء... نرتجي

أن تقبلي الأعذارْ

قلتِ لهم: لتقرؤوا فاتحَة عليكُم

وكّبروا أربعةً عليكمْ

أنا الشهيدةُ التي لها الحياة

أخرج من جرحي الذي أغرقني بالدَّمْ

بساعدِ وفمْ

من تَحت هذا الرَّدمْ

أخرج بالحياةْ

في يوم أخذ الثارْ

أنا الشهيدة التي لها الحياة تحت الردمْ

وأنتم الأمواتْ تحت القهرِ

تحت موت العزْم

١٣/ ٤/ ٢٠٠٢

توقيعان شعريّان

(١)

كلُّ قطرة دمْ

من وريد الشّهيدْ

وَعْدُ سنبلةٍ

بانبعاثٍ جديدْ

(٢)

نَخُطُّ على الدرب

وَقعَ خُطانا

ويخطو عليه سوانا

فتعفو خُطانا

٤/ ٢/ ٢٠٠٢

منية العمر

يـــا حيـــاةً بمـــا نُحـــبُّ ضـــنينةْ

مُنيـــةُ العمـــر ميتـــة في المدينـــةْ

يـــا لأنـــوار "طيبـــة" حـــين تبـــدو

لُمحـــبٍ ألقـــى إليهـــا حنينـــهْ

طـــاف في لُجَّـــة الزمـــان يُرجّـــي

في مـــدى عمـــره حيـــاةً أمينـــة

غـــرّهُ غفـــوةُ الخطـــوب زمانـــا

فمضـــى يُســـلم العُبـــابَ ســـفينه

وبـــدا الشَّـــط مـــن بعيـــد بعيـــدا

ونمـــا الخـــوفُ فجـــأة في السّـــكينة

واســـتبدَّت بـــه الظنـــون فـــأنحى

لشـــراع السّـــفين يشـــكو ظنونـــهْ

ســـــبقتْ عَبْـــرةَ الشـــرّاع جـــراحٌ

حفرتهـــا الرّيـــاحُ تعلـــو جبنيـــهْ

أنَّ صـــاري الســـفين مـــن هبّـــة

الّـــريح فـــألفى عـــبر الســـكون أنينـــهْ

نُـــذُر الأفـــقِ بالعواصـــف لاحـــت

فَقَـــدَ البحُـــر إذا أطلْـــتْ ســـكونهْ

ذاك خـــوفي فهـــلْ بطيْبـــةَ أمـــني

وعَـــدُوّي قـــد بَـــثّ خلفـــي عيونـــهْ

وحـــــدةٌ وحشـــــةٌ وظلمـــــةُ دربٍ

ونيـــوبٌ علـــى المـــدى مســـنونة

وزمـــــانٌ يغتـــال عمـــري يومـــاً

إثـــر يـــوم والحَـــيْنُ أَبصـــرتُ حِينـــهْ

يـــا لَعمـــرٍ حصـــادهُ قـــبضُ وهـــمٍ

غفلـــةُ القلـــبِ شـــوهت تكوينـــهْ

يُشــــرق النـــورُ في عـــلاه فيزهـــو

ويــــولّي صـــوبَ المعـــالي عيونـــهْ

مُصــــعداً للجِنـــان يعـــرجُ روحـــاً

ذابَ نـــوراً.. وخلَّـــفَ الطـــين دونـــهْ

مـــــاتَ وسْواســــــه وولى هـــــواه

وسمـــــا علمـــــه وأبـــــدى يقينَـــــهْ

أهـــي رؤيـــا تَظـــلُّ حبـــل نجـــاة

في حيـــاةٍ بكـــلّ حتـــفٍ رهينـــة

يَغـــرقُ القلـــب بَعـــدها في ظـــلام

وقيـــودٍ مـــن شـــهوةٍ مجنونـــة

هـــي فينـــا مـــن عهـــد آدم كانـــت

لُقمـــةٌ مُـــرَّةً.. أطالـــت شـــجونهْ

* * *

جئْـــــتُ ضــــيفاً إلى موائـــــد نــــور

مــــدّها المصـــطفى فصـــارت مدينـــة

لســــــتُ فيهــــا مزاحمـــــاً أهــــل دار

وهـــــمُ الوارثـــون نعمــــى ثمينـــة

جئـــتُ زادي حـــبُّ الرّســـول وقـــومٍ

نصـــــروا دينــــه وكـــــانوا يمَينــــهْ

طَيْبَـــةَ الطّيـــبِ هـــل تضـــمين جســـماً

شـــدّة الشـــوق منـــذ فـــارق طينــهْ؟

المدينة المنورة ٢١/٨/ ٢٠٠٠

رؤيا

(لقيت الأستاذ عبدالله الطنطاوي في دعوة غداء في بيت الأخ حيدر قفة يوم الجمعة ٧/ ٧/ ٢٠٠٠ بمناسبة حضور الدكتور عدنان النحوي إلى عمان. وقد مضت مدة لم ألق الأخ الطنطاوي فسألته عن ذلك الغياب، وكان مما دار في الحديث قوله: لقد رأيتك في المنام وتردد في الحديث، ثم قال إنه رأى الأخ داود معلا- رحمه الله- وقال له في المنام: لقد مات مأمون فأجابه الطنطاوي: إنه ما زال شاباً، فقال له: والشباب يموتون، وجاءه في ذلك اليوم نعي صديقه شريف الراس فكانت هذه القصيدة ثمرة هذا الموقف)

- قد طال ما بيني وبينك

قلتُها،

فاستلّ من أعماقه نَفَساً

وأوجس برهةً متجهّما وتبسّما:

إني رأيتك في المنام ولم أحدّث

بالذي قد كان،

قلت: مُتمّما: خيراً

فقال: رأيت داود المعلاّ ناعياً لك

فانتفضت وقلت: مهلاً إنّما

ما زال في شرخ الشباب

فقال عبد الله، كم أبصرت ممّن دونه

قد أسلما

وصحوت من حُلمي فجاء النعي:

مات شريف قلت: هو المنام تكلّما

* * *

وامتدّ صمت بيننا وتجهّما

وكأنما ندم خفيّ قد نما

ومضيت أسعى في مدى رؤياه

أنبش سّرها مستلهما

قال المؤوّل: ميتة الرؤيا حياة

جُدّدت أو ربّما

كانت بلاءً ينتهي

أو ربما كانت..

فقلت: كفاك هل خاطبت إلاّ مسلما؟!

أو لـــيس هـــذا المـــوت غايـــة كـــل مـــن

في الأرض أو تحــــــــــت الســــــــــما

يـــا يقظـــة الرؤيـــا كشـــفت لـــي المـــدى

وشـــققت عـــن قلـــبي العصّـــي توهّمـــا

قـــد طـــال مـــا شـــغلته دنيـــا بـــالمنى

وبـــدا الســـراب لـــه فأحرقـــه الظمـــا

رؤيـــــاك عبـــــد الله بعـــــض بشـــــارة

مـــات الهـــوى فيهـــا.. وإيمـــاني نمـــا

١٦/ ٧/ ٢٠٠٠

رسالة إلى إنسان العصر

ما أعظم بأسك يا إنسان

مهّدت البر.. خرقت الجوّ.. عبرتَ البحرَ

وعمّرت الأركانْ

استخرجت كنوز الأرض.. بنيت السدَّ

رفعتَ على العَمدِ البنيانْ

عيناكَ منابع إصرار ويداك مقابض للإتقانْ

وطموحك يرتاد الآفاق يشق مجاهيل الأكوانْ

بالسمع خرقت جدار الصمت وأدركت الأصواتْ

بالعين قرأت تفاصيل الأشياء وصورتَ الألوانْ

بالعقل رأيت وجودك أدركت قوانين الأكوانْ

* * *

هذي آثارك في كل مكانْ

مدنٌ.. وقرى.. وبوادٍ تنبض بالعمرانْ

وحدائق باسقة الأفنانْ

في ليلك أشعلت الأنوار تذود النوم عن الوسنانْ

أحلامك صارت بين يديك حقائق تنطق بالإتقانْ

* * *

لكنّي أقرأ في عينيك ينابيع الأحزانْ

تضحك.. تمرح.. تلهو.. تُغْرِقُ روحك في صخب الألحانْ

لكنك في أعماقك.. حيرانٌ.. حيرانْ

في قلبك شوق لِلْمجهولْ..

يعجز عنه فصيح بيان

هل تبحث عن مفتاح الخلد لتخرج من أسر الإنسان المحدود العُمرْ؟

هل تطمع أن يبقى "الجثمانْ" قصيّاً عن ظلمات القبْر؟

* * *

يا هذا الإنسانْ

قف في لحظة صدق واقرأ قصة عُمركْ

هل تذكرُ قبل وجودك ماذا كنت؟

هل تذكر عهد الحمل وأغشية الظلماتْ

يا طفلاً يدرج فوق الأرض تقيه الأم من العثراتْ

قف في لحظة صدق واقرأ سلسة الأنسابْ

يا ابن الأموات.. الأمواتْ

* * *

يا مغروراً بالأشياء

أيامُك تسلبُ عمركْ

تمتص رحيقك تزرع في جنبيك الداءْ

إن لم تعرف ربّك في دنياك

فحصادك يوم البعث هباءْ

* * *

اخلع نعليك تقدم نحو النورْ

اغمس في هذا الفيض وجودَك

واغسل ما ران على تكوينك من ديجورْ

احمل فأس خليل الرحمن

وادخل في أعماق النفس

وحطّم منصوبَ الأوثانْ

عمان ٢٠٠٠م

قراءة في كتاب النعم

نقّل الطَّرف في الكونِ واقرأْ كتاب النّعمْ

واذكر الله في كلِّ طرفةِ عينٍ وقلْ:

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ السابغَة

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ الظاهرَة

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ الباطنة

* * *

نقّل الطّرفَ في آي خلقك واقرأ كتاب النِّعَم

كيف جئتَ؟ ومن أينَ جئتَ؟ ومَن صوَّركْ

نطفةً كنت في عالمِ الظلماتْ

علقت في جدارِ الرَّحِمْ

مُضغَة كنتَ

عظماً غدوتَ

ويكسوكَ ربُّكَ لحمًا

وتصبحُ خلقاً جديداً

❋ ❋ ❋

مَنْ أمدَّك بالرّوح بعدَ العدَمْ

مَنْ أفاضَ عليك مِنْ الرّزقِ في عالم مِن ظُلَمْ

يا جنيناً يحرّكُ في القلبِ أغلى المشاعِرِ يصنُعها الوالدانْ

عالَماً من حُلُمْ

فاحمدِ اللهَ واقرأ كتابَ النعم

وقل:

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ السابغَهْ

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ الظاهرَهْ

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ الباطنَهْ

❋ ❋ ❋

منْ تُرى حرَّكَ الطّلقَ في الرَّحِمِ

من تُرى أعلنَ: الآن وقتُ الخروجِ من العالِم الُمظلمِ

إلى عالِم النور والسَّعي والألِم

آهِ يا صرخة الطفلِ عندَ الولادة: ما تحملين؟

لهفَةَ الوعي أم غُصَّةَ النَّدَمِ؟

هل تُرى تذكرُ الآنَ صرختَكَ الواعده؟

تشهقُ الأمُ والبِشْرُ في وجهها بعدَ طولِ عناءْ:

- ولدُ؟

- آهِ

- بنتٌ؟

- نعم!

- الذي جاءَ خيرٌ ونرضى بما ربُّنا قد حَكَمْ!

* * *

موسمُ الخصبِ يُعلنُ عند الولادة أن الحياةَ امتدادٌ

يبدّدُ وهمَ العدَمْ

يُنطقُ القلبَ بالحمدِ والشُّكرِ عند شهودِ النّعمْ:

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ السابغَة

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ الظاهرَة

لك الحمدُ يا ربّ بالنّعمِ الباطنَة

عمان ٢٠٠٠م

وقفة على الآثار

قــــف في ديـــار الســـابقين مفكـــرا

وانظــــــر إلى آثــــــارهم متبصــــــرا

شـــادوا المبـــاني شـــامخات لم تـــزل

تــروي ملامــح مــن حضــارتهم ثُــرى

نحتــوا الجبــال روائعــاً مــن فــنهم

عمــــروا جوانبهـــا وراقـــت منظـــرا

أو ليســـت "الـــبتراء" بعـــض ديـــارهم

تبـــدي مـــن التـــاريخ ســـرّاً مضـــمرا

فيهـــا المهابـــة إذ تجـــوس خلالهـــا

حســـناً يظـــلُّ علـــى الزمـــان مصـــوّرا

يـــا أيهـــا الأنبـــاط أيـــن قوافـــل

شـــقت علـــى وجـــه الصـــحارى معـــبرا

في "الحِجْـــرِ" "بـــتراء" ســـوى بترائكـــم

عمــــرت ثمـــود بهـــا زمانـــاً مـــدبرا

تمضـــي القوافـــل في الـــدروب أمينـــة

تجتـــاز "بصـــرى" ثـــم تعـــبر "تـــدمرا"

هـــذي ديـــاركم الشـــواهق قـــد خلـــت

وغـــدت لأفـــواج الســـياحة منظـــرا

هـــذي قصـــوركم المشـــيدة قـــد هـــوت

ومحـــا ســـطور كتـــابكم مـــاحي الـــورى

وانظـــر إلى الأهـــرام شـــاهد عـــزة

جعلـــت بهـــا فرعـــون يـــأتي المنكـــرا

"أنـــا ربكـــم" قـــد قالهـــا في غفلـــة

لمـــــا رأى جناتهـــــا والأنهـــــرا

ظـــنّ الـــذي أوتيـــه صـــنع يمينـــه

والنـــاسَ مـــن تكوينـــه فاســـتكبرا

لمــــا أتــــى موســــى بنــــور ســــاطع

عميـــــت بصـــــيرته فـــــولى مـــــدبرا

يــــا بــــاني الأهــــرام ذكــــرك داثــــر

لكنهـــــا بقيـــــت شـــــواهد للـــــورى

أوتــــاد مجــــد قــــد رفعــــت بنــــاءه

ورحلـــــت عنـــــه فانيـــــاً متحســـــرا

في كــــل أرض للبصــــيرة شــــاهد

يـــــروي حـــــديثاً في الزمـــــان مكـــــررا

آثــــار أقــــوام تشــــي بوجــــودهم

لكـــــن أتبصـــــر مـــــن بنـــــيهم مخـــــبرا

ســــحب الزمــــان علــــى ربــــاهم ذيلــــه

ومضـــــت قوافلـــــهم وجـــــازوا المعـــــبرا

عمان ٢٠٠٠م

خمسونَ

خمســـونَ عامـــاً ذوت.. هـــل أفلـــتَ العُمُـــرُ

والشـــيبُ في جنبـــات الشـــعر ينفجـــرُ

خمســـونَ والأمنيـــاتُ الُخضُـــر قـــد نَسَـــلت

أوراقهـــا وذوى في الـــبرعم الزّهَـــرُ

خمســـونَ يـــا غمضـــةً للطّـــرْفِ هـــل رَحَلـــتَ

عنّـــي الطفولـــةُ؟ هـــل ولىّ الصـــبا النّضـــر

هـــل دار بـــي زمـــني في العمـــرِ دَوَرتـــه

حتـــى اســـتَفقْتُ وحـــولي تنعـــقُ النـــذُرُ

قبضـــتُ كفّـــي علـــى عُمـــري فمـــا حملـــت

إلاّ رمـــاداً فـــلا فحـــمٌ ولا شـــرَرُ

خمســــونَ والحـــزنُ مرصـــودٌ علـــى شـــفتي

فكــــلُّ عــــزفٍ لـــه في لحنــــهِ وتَـــرُ

خمســـونَ والخلْـــقُ مصـــلوبٌ علـــى ظمـــأً

يشـــقّقُ الصـــوتَ منـــه الملـــحُ والضـــجَرُ

هممــــــتُ بالمــــــاء يُغـــــريني تدفّقُــــــهُ

وصــــدّني عنـــه صـــفوٌ بعـــدَهْ كـــدَرُ

خمســــونَ والنّسْـــــرُ في الآفـــاق مرتحـــلٌ

مـــا ارتـــاحَ مـــن ســـفرٍ إلاّ لَـــهُ ســـفَرُ

خمســـــونَ في دمِـــــه الحمّـــــى تهيّجـــــهُ

وغربـــةٌ عـــن حمـــى عاشـــت بـــه الغِيَـــرُ

خمســــونَ يـــــا زبـــــداً جفّـــت منابعــــه

فلـــيسَ إلاّ ســـرابُ الـــوهمِ ينحســـرُ

قــــد آنَ للقلــــب أن تُعلــــى معارجــــه

وآن للفجــــر أن يزهــــى بــــه السّــــحَرُ

يـــا باعـــثَ الشـــوق هـــيجْني إلى ســـفرٍ

يكـــونُ في المـــلأ الأعلـــى لـــه خبُـــرَ

أَنِـــرْ بمشـــكاةِ قلـــبي للهـــدى فلقـــاً

بــه البصــيرةُ تهُــدى الــدربَ والبصُــرَ

عمان ١٩٩٩م

أغنية في زمن الانكسار

أيا زمنَ الموتِ والاندثارْ

ويا زمنَ الانكسارْ

تمرَّسَ تاريخنا بالبلايا

ولكننا بعدَ كلّ انهيارْ

نشقُّ الظلامَ ببركان نارْ

أتذكرُ يوم أسال الفرنجةُ في حرم القدس أنهار دمْ؟

وطافت على شرقنا المبتلى.. غيومُ الألْم

وكانت سيوفُ بني الشرق مغروزةً في القلوبْ

وداحسُ سابحةً في دمانا

وفي لحمنا ذكرياتُ البسوس؟

ولكننا من رمادِ الهزيمةِ نصنعُ معراجنا

وفي أنهر الدّمِ نغسلُ عصَر الذنوبْ

ونُغرقُ شمسَ الغروبْ

وفي حلكةِ الليل.. تولد أقمارُنا

وينهضُ فجرٌ جديدْ

نغنّي لمجدك يا سيفَ "زنكي"

وإن غاله عبدُك القرمطّي

ففي حلبٍ كان ميعادُ حلمكَ

يقتلهُ الأشقياءْ..

ويحمل "محمودُ" سَيْفَك ينهضُ عبر دمشقَ

إلى باب مصرَ..

يلبْي النداءْ

يشقُّ الطريقَ إلى حرمِ القدِسِ

يقلعُ من دمنا ذكريات الهزيمة

ويخلعُ شوكَ الجريمةْ

يخطُّ على المنبرِ الوعدَ:

إنّا إلى قدسنا قادمونْ

وإنْ طالَ دربٌ

فها منُبر الوعْد.. في كّل معركةٍ

يتقدَّمُ نحوكِ عُمرَا

ويولدُ في الزّمن الصعبِ "يوسف"

يولدُ فجرُ "صلاح"

لنا موعدٌ فيكَ يا سهلَ حطّين

يا عيَن جالوتَ ميعادُنا يتجدَّدُ في كل عصرٍ..

ويا سورَ عكّا على قدميك تكسَّر موجُ الغزاة

ويولدُ فجرُكِ يا قدسُ.. يرحلُ ليلُ البغاة

وينحسُر الليلُ والحقدُ عن صخرةِ القدسِ

يغسلُها الطيبوّنْ..

سِنونَ.. سِنونْ

مضتْ يخنقُ الكفرُ فيك الضياءْ

فيا شوقَنا للقاءْ

ويا شوقنا للفداءْ

سِنونَ.. سِنونْ

نغذُّ الخطى.. نحو سورك يا قدسُ

يحبسُها الوهنُ حيناً..

ويغتالُها الليلُ حيناً..

ولكننا قادمونْ

وإن طال دهرٌ.. ومرَّتْ سِنون

فيا زمنَ الانكسارْ

ويا زمن الوهن والانهيارْ

تَمرسَ تاريخنا بالفرنجةِ

وارتدَّ سَيْلُ التتارْ

فمهما يكن من دمارْ

ستورق أشجارُنا..

وتبرعمُ أغصانها.. بالنّهارْ

عمان ١٩٩٣

شكوى من الشعر

يـــا منبـــتَ الشـــعر مـــا للشـــعر يجفـــوني

أســـــعى إليـــــه ولكـــــن لا يُـــــواتيني

كـــم ليلـــةٍ بـــتّ فيهـــا حـــائراً قلقـــا

أســـــتمطرُ الشـــــعرَ أبياتـــــاً فيعصـــــيني

كـــــأنني عاشـــــق بائـــــتْ حبيبتـــــه

أو حيـــــلَ بينهـــــا مِـــــنْ بعـــــد تـــــأمين

فحالـــــــهُ قلِـــــــقٌ، وليلـــــــه أرِقٌ

وعيشـــــه نـــــزِقٌ يفضـــــي إلى هـــــون

كـــــأنني لم أكـــــن والشـــــعرَ في قـــــرَنٍ

أســـــقيه مـــــن ذّوْبِ أفكـــــاري ويســـــقيني

ففـــي الصـــباحِ صَـــبوحٌ مـــن منابعـــه

وفي المســـــاء غَبـــــوق منـــــه يـــــرويني

عامـــان يـــا نجـــدُ قـــد مّـــرا وقـــد صـــمتَتْ

أوتـــــارُ عـــــودي عَـــــنْ عـــــزفٍ وتلحـــــين

فـــلا الصَّـــبا فيـــك مـــن مـــوتي يحـــرّكني

ولا الحـــــنينُ إلى الأحبـــــاب يشـــــجيني

كـــــأنني هـــــاتف ماتـــــتْ حرارَتُـــــهُ

فلســـــتُ أسمـــــع أصـــــواتا تنـــــاديني

وســـائلٍ عـــن جديـــدِ الشّـــعرِ قلـــت لـــه

حســـبي مـــن الشّـــعر أن الشّـــعر يجفـــوني

فـــــلا رثـــــاءٌ لمـــــوتى في مرابعنـــــا

عيـــــونهُم لحيـــــاض المـــــوت تـــــدعوني

ولا بكـــاءٌ علـــى صـــرعى الجفـــاف تـــرى

أشـــــباحهم في عـــــذاب غـــــير ممنـــــون

ولا مـــــديحٌ لفجـــــر المجـــــد يصـــــنعه

مجاهـــــدون لتبقـــــى رايـــــة الـــــدين

عجبـــتُ يـــا صـــاح مـــن شـــعر يطـــاوعني

يـــوم الرخـــاء وحـــيّن البـــأس يعصـــيني

في يـــوم صـــبرا وشـــاتيلا بكيـــتُ علـــى

أهلـــي وقـــد ذبحـــوا مـــن بعـــد تمكـــين

غـــاب الأســـودُ فعاثـــت في مرابعنـــا

ثعالـــبُ البغـــي مـــن أحـــلاف صـــهيون

علـــى العجـــائرِ والأطفـــال سَـــطوهم

علـــى بيـــوتٍ مـــن الأخشـــاب والطـــين

فكـــــم قتيـــــلٍ قضـــــى في أرض غُربتــــه

مولّـــــه القلـــــب في لقيــــا فلســــــطين

أمضـــــى الحيــــاة غريبــــاً بــــين إخوتــــه

إذ عـــــــيروه بتشــــــــريد وتهجــــــــين

ربّـــــى علـــــى العـــــزّ أطفــــالاً فكلّهـــــم

أخــــو ســــلاح لــــه عــــزٌّ الســــلاطين

مضـــوا إلى غُربـــة مـــن بَعْـــدِ صَـــدِّهم

عـــن أرض بـــيروت أحـــلاف الشـــياطين

قضـــــى وحســـــرتُهُ في القلــــبِ ناميــــةٌ

فـــالأرضُ والشـــعبُ قـــد شُـــدّا إلى الهـــون

في يــــوم صـــــبرا وشــــاتيلا بكيــــتُ ولم

يُســـــعفْ قصـــــيدٌ ولم تشــــفع دواويــــني

وكـــلَّ يـــوم دواعــــي الشــــعر تحفزُنــــي

وكـــــلَّ يــــوم نــــداءُ الأرض يــــدعوني

في كـــــلِّ يــــوم لنــــا في الأرض ملحمــــة

نخطّهــــــا بحجــــــارٍ أو ســــــــكاكين

نفســــي الفــــداء الأطفــــال لَـــوَ أَنَّهــــم

حـــــازوا الســــلاحَ أعــــادوا مجـــد حطــــين

يــــــرون أرضــــــهمُ تُســــــبى وحقهــــــم

يُشــــــرى وشـــــعبهم في أســـــر شــــارون

فيهــــــزؤون وقــــــد لاح الــــــردى لهــــــم

في وجـــــه مســـــتوطن بالشــــر مســــكون

عينـــاهُ نـــارٌ فلـــو يَسْـــطيع أحـــرقهم

غـــداً وأمســـاً وأفنـــاهم بطـــاعون

كـــم رُوِّعـــوا في ليـــالٍ بعـــدما هجعـــوا

وجُرِّعـــوا الرُّعـــبَ مـــن حـــين إلى حـــين

وجـــاءهم نُـــذُرٌ مـــن حـــاكم شـــرس

بنـــزع أرض وقطـــع اللـــوز والـــتين

نفســـي الفـــداء لأطفـــال لهـــم أمـــل

في أمـــــة تـــــركتهم للثعـــــابين

علامـــة النصـــر لم تـــبرح أكفّهـــم

ومولـــد الفجـــر حـــق غـــير مظنـــون

يــا شــعرُ كيــف يكــونُ الصــمت في زمــن

يعلـــــو بـــــه كـــــل أفّـــــاك ومـــــأفون

أفٌ مـــن الصـــمت مـــا أقســـى ثوانيـــه

تظـــــلُّ تنشـــــر آلامـــــي وتطـــــويني

هـــاهم بنـــو وطـــني قـــد أصـــبحوا تبعـــا

لكـــــل جـــــافٍ لـــــدين الله مفتـــــون

يـــا قومنـــا لـــن يَـــرُدَّ القـــدسَ ســـيدةً

ومســـــجدَ القـــدس إلاّ إخـــوة الـــدين

قـــال الـــنبيُّ مقـــالا غـــير ذي عـــوج

نبــــوءةً في حـــــديث غــــير مطعــــون

تقـــــاتلون يهــــــوداً في مخـــــــابئهم

مـــن بَعْـــدِ عـــز لهـــم فيهـــا وتمكـــين

فيُنطـــــــقُ اللهَ أحجـــــــاراً بجــــــتفهم

يـــا عابـــدَ الله هـــذا الوغـــدُ يـــؤذيني

يـــا شـــعرُ لا تُبْـــقِ في قلـــبي مواجعَـــهُ

ففـــي المواجـــع حَـــدٌّ جـــدُّ مســـنون

يـــا شـــعرُ هـــل ســـنرى فجـــراً فينســـينا

"يـــا مـــن لقلـــب شـــديد الهـــم محـــزون" ؟!

الرياض ١٩٨٤

صرخة القدس

صــــــرخةٌ في أرضــــــنا ممتــــــدَّة

جلجلـــتْ في القـــدس يـــوم الاحـــتلالِ

لم تـــــــزلْ في أفقنــــــا داميـــــــةً

دعــــوةً للمـــــوتِ في ســـاحِ النضـــالِ

حرقـــوا المســــجدَ أنشــــدنا لــــه

وفـــــــديناه بأشــــــعارٍ غـــــــوالِ

ربّمــــــا يُهـــــدمُ، هـــــذه صـــــرخةٌ

ربمــــا يهُـــــدمُ في ســـــودِ الليـــــالي

هـــــذه القـــــدس فمـــــن ينقـــــذها

إن أرض القـــــدس ميـــــدانُ المعـــــالي

١٩٨٣

ألم تهزّكم الأشلاء؟

لبيـــك لبيـــك والأقصـــى ينادينـــا

وفي المخـــــيم أشـــــلاء تنادينـــــا

لم يتركـــوا فيـــه لا طفـــلا ولا امـــرأة

إلا وذاق مـــــن المـــــوت الأفانينـــــا

كـــم صـــرخة خرجـــت والرعـــب يكتمهـــا

شـــقت إلينـــا مـــدى الآفـــاق تـــدعونا

تقـــول: يـــا أمـــة ضـــاعت كرامتهـــا

وســـيق رضّـــعها للمـــوت غافينـــا

ألم تهـــــزّكم الأشـــــلاء ثاويـــــة

تحـــت الركـــام.. ألم تســـلبكم الهونـــا؟

ألم تزلـــــزل رقـــــاداً في ضـــــمائركم

فتنهضـــــوا في ســـــبيل الله ســـــارينا

ألم تكـــن وقفـــة الأبطـــال باعثـــة

لكـــم فتتخـــذوا مـــن فعلـــهم دينـــا؟

قـــالوا لكـــم بصـــمود لا مثيـــل لـــه:

المـــوت في الله مـــن أغلـــى أمانينـــا

فمـــا حيـــاة وأرض القـــدس ضـــارعة

إلى الحجـــيج وقـــد جـــاؤوا ملبينـــا

بالبيـــت طـــافوا وأمّـــوا طَيْبـــة فمتـــى

نـــراهم في رحـــاب القـــدس داعينـــا

متـــى يـــثير لهيـــب الثـــأر في دمنـــا

نـــاراً تهـــب علـــى الـــدنيا براكينـــا؟

متـــى فقـــد طـــال تشـــريد يطاردنـــا

فمـــــا يفارقنـــــا إلاّ ويأتينـــــا!!

موسم الحج ١٤٠٢/ ١٩٨٢

خواطر في حصار بيروت

(١)

أيقظينا

فجّري النخوة فينا

وأزيلي من دمانا

وعن الأعصاب أطنان الجليدِ

وأعيدي

عزّة الآباء فينا من جديدِ

(٢)

قَد قُتلنا نحن يا بيروت

لم يُقتل بنوك الشهداءْ

وذُبحنا عندما نحن رضينا

بخنوع وانحناء

ورضينا أن يقول الكون عنا:

جبناء!!

(٣)

قتلوا بيروت بالجوع

بحبس الماء

بالهدم وبالفوسفور

والنابلم وأصناف البلاء

ذبحوا الأطفال فيها

نتفوا شيب الشيوخ

انتهكوا كل القوانين

وما جُدْنا عليها بالدماء

(٤)

نحن كالفئران يا بيروت

نحيا في جحور الشهوات

قتلتنا.. مسختنا

نحن يا بيروت موتى

وغثاء وهباءْ

نحن في الميزان صفر

نحن قوم أشقياءْ

كيف لا توقظ فينا

نبضة العزة أنهار الدماءْ

كيف لا تبعث فينا

صولة الأعداء.. معنى الكبرياء؟!

اجتياح بيروت/ ١٩٨٢

لو كنت من مازن!

لو كنت من مازن لم يُستبح وطني

لو كنت من مازن لم تستبح بيروت

لم تحترق بيروت

بيروت يا نارُ

بيروت يا عارُ

كل الفضائل فينا

تغتالها الأخبارُ

بيروت يا نارُ

يهرب منها الجبانُ

وما لها أنصارُ

* * *

بيروت بيروت قد طال انتظارهم

قالوا: تموتينا

قالوا: تعودينا

مدينة للسياحةْ

ملهى وتفاحةْ

الشوك فيك كثيرُ

وقد أتاك الجرادُ

وفيك أمر يُرادُ

والكل ينتظرون

الأحباب والأعداء

وفيك يولد فجر

للأرض والإنسانِ

وفيك يُفتح قبر

لعجزنا والهوانِ

❋ ❋ ❋

لكن حظك يا بيروت منكوس

عصر السقوط طويل

ليل الشعوب طويل

فكم تموت النجوم

وكم تذوب الغيوم

اجتياح بيروت/ ١٩٨٢

هبّوا بنيّ

هبّـــــوا بــــــنيّ ولا تنـــــاموا

فالنــــــاس في بـــــيروت قـــــاموا

لم يغـــــــتمض جفـــــن لهـــــم

كــــــلا ولا ســــــاغ الطعـــــام

هــــــدم اليهــــــود بيـــــــوتهم

والمـــــــــوت عنــــــــدهم زؤام

الليـــــــل يوصـــــــل بالنهـــــا

ر فلـــــيس نـــــور أو ظــــــلام

وهنــــــاك فرســــــان الســــــلا

ح لهـــــم صـــــيال وانتقـــــام

قـــــد أقســـــموا ألاّ يكـــــو

ن ســـــوى فلســـــطين مـــــرام

اجتياح بيروت/ ١٩٨٢

هجران الشعر

هجــرت الشــعر حتــى غــاب عــنيّ
كــــــــأني لم أزره ولم يزرنــــــــــي
ولم أفــــتح لـــــه في القلــــب دارا
وإكرامـــــا بغـــــير أذى ومــــــنٍّ
تمـــــرّ بـــــي الحـــــوادث لاهبـــــات
تـــذيب الصـــخر مـــن ألم وحـــزنِ
ولم يَجْـــرِ القصـــيد علـــى لســـاني
ولم يعطــــف علــــيّ ولم يُعنّــــي

١٩٨٠

خواطر على جسر العذاب

روايتي لا تنتهي

هذه الفصول مكررة

أحداثها مرت علّي وعشتها

عصرت دمي

نفس الحكاية من جديد

قيد على روحي

وسجن مظلم الجنبات مرصود المداخل

ومطارق الجلاد في رأسي

وفي عنقي السلاسل

وأنا على جسر العذاب ممدد

ما بين أحلام تطلّ

بمثل ما تعد السنابل

وسياط جلاّد تكاد تهزني

وأنا أناضلْ

* * *

في الليل تشتعل الهموم

يطلّ وجه الوحش بالفزع الرهيب

ويظل وجه الليل مشحوناً

بأحمال الندامة والخسار

حتى متى هذا الدُّوار

ما بين ليلي والنهار

حتى متى تمتد في جسدي الوساوس

في دمي يسري الخُمار

أشتاق أن يأتي النهار السرمدي

تطلّ أنوار الوجود

يغيب عني الليل يرحل للأبد

١٩٧٥

الفهرس